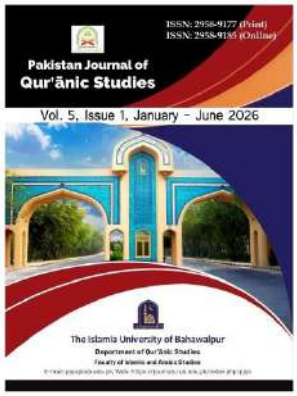

Pakistan Journal of Qur'ānic Studies

ISSN Print: 2958-9177, ISSN Online: 2958-9185
Vol. 5, Issue 1, January – June 2026, Page no. 53-64
HEC: https://hjrs.hec.gov.pk/index.php?r=site%2Fresult&id=1089226#journal_result
Journal homepage: https://journals.iub.edu.pk/index.php/pjqs
Issue: https://journals.iub.edu.pk/index.php/pjqs/issue/view/306
Link: https://journals.iub.edu.pk/index.php/pjqs/article/view/4794
Publisher: Department of Qur'ānic Studies, the Islamia University of Bahawalpur, Pakistan

Title **The Methodology of Sheikh Ibn Ujaibah in Balancing between Shariah and Haqiqah in the Light of his Compilations.**

Author (s): **Akhtar Ur Rehman**
PhD Scholar, Deptt. Dawah & Islamic Culture, International Islamic University Islamabad, akhtar.rehman2000@gmail.com.

Dr. Mir Akbar Shah
Assistant Professor, Department of Dawah & Islamic Culture, International Islamic University Islamabad, akbar.shah@iiu.edu.pk.

Received on: 18 May, 2026
Accepted on: 25 June, 2026
Published on: 30 June, 2026

Citation: Akhtar Ur Rehman, and Dr. Mir Akbar Shah. 2026. " منهجية الشيخ ابن عجيبة في التوازن بين الشريعة والحقيقة في ضوء مؤلفاته : The Methodology of Sheikh Ibn Ujaibah in Balancing between Shariah and Haqiqah in the Light of his Compilations". *Pakistan Journal of Qur'ānic Studies* 5 (1):53-64. https://journals.iub.edu.pk/index.php/pjqs/article/view/4794.

Publisher: The Islamia University of Bahawalpur, Pakistan.

All Rights Reserved © 2024 This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

منهجية الشيخ ابن عجيبة في التوازن بين الشريعة والحقيقة في ضوء مؤلفاته

The Methodology of Sheikh Ibn Ujaibah in Balancing between Shariah and Haqiqah in the Light of his Compilations

Akhtar Ur Rehman
PhD Scholar, Department of Dawah & Islamic Culture, International Islamic University Islamabad, akhtar.rehman2000@gmail.com
Dr. Mir Akbar Shah
Assistant Professor, Department of Dawah & Islamic Culture, International Islamic University Islamabad, akbar.shah@iiu.edu.pk.

Abstract
Some people regard reality (ḥaqīqah) and Sufism as opposed to, and in conflict with, the Sharīʿah. A great number of Muslim and Sufi scholars reject this view; they hold, rather, that the Sharīʿah and reality are inseparable — neither opposed nor rivals, but interwoven with one another. In this view, religion and the Sharīʿah are the complete foundation, while reality and Sufism are an integral part of it; the part therefore derives its soundness and its practical character from the whole, and so cannot be called its rival or its opposite. In every age, scholars and Sufis have guided the Ummah on this question, each in his own way.
This paper sheds light on the topic through the works of Shaykh Ibn ʿAjībah (may Allah have mercy on him), as follows: it begins with an introduction, then the literal and technical definitions of the Sharīʿah and reality, then the statements of the jurists and Sufi scholars, then selected passages from the books of Ibn ʿAjībah, and it closes with a conclusion drawn from his thought.
Key Words: *Reality, Sufism, Sharīʿah, Religion, Ibn ʿAjībah.*

المقدمة:

فلا شكّ أنّ الشريعة والحقيقة والمعرفة ونحوها لم تكن في عهد رسول الله ﷺ ولا في القرون الأولى مصطلحاتٍ خاصةً، ولم تُستعمل إلا كلمة الشريعة بمعنى الدين، أما بقية الكلمات فكانت قريبةً من معناها اللغوي. ثم إنّ الفقهاء لما وضعوا مصطلحات الفرض والواجب ونحوهما لبيان مراتب الأحكام، وضع الصوفية هذه الكلمات لبيان درجات السلوك والأخلاق في معرفة الحقيقة؛ فسُمّيت العقائد الشرعية والأوامر الظاهرة صلاةً وصياماً ونحوَهما.

والطريقة هي الأخذُ بالعزيمة ومجاهدةُ النفس في اتّباع الشريعة، وتنميةُ الإخلاص والتقوى في القلب، بل الاطّلاعُ على أسرار الأحكام والعملُ بمقتضاها، كما بيّن الشيخ الشاه ولي الله رحمه الله أسرار هذه الأحكام في "حجة الله البالغة"؛ ومن ذلك معرفة أمراض النفس والقلب، وعلاجُ كل داءٍ بدوائه، وحفظُ الصحة الباطنة

والسعيُ في أسبابها. والمعرفةُ حالٌ من الكشف والمشاهدة، وهي أعلى مقامات الطمأنينة ورضا القلب؛ فحينئذ لا يلتفت العبد إلى ما سوى الله، ويجد في ذكر الله حلاوةً ولذّةً لا تعدلها لذّة، حتى يصير ذكرُ الله قوتَه الذي يشقّ عليه العيش بدونه. وعلى هذا المنوال سار الشيخ ابن عجيبة رحمه الله في المغرب لنشر دعوة الإسلام. وقد أردتُ أن أجمع ما تفرّق من كلامه في ثنايا كتبه في هذا الباب في بحثٍ واحد، رجاءَ النفع به للمسلمين، فتلخّص فيما يلي:

التمهيد: التعريف بالشريعة والحقيقة وبعض المفاهيم ذات الصلة:

التعريف بالشيخ ابن عجيبة:

هو أبو العباس أحمد بن مُحَمَّد بن المهدي ابن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي (المتوفى: ١٢٢٤هـ)، من أعلام التصوف السنّي بالمغرب، جمع بين علوم الظاهر من فقهٍ وحديثٍ وتفسير، وعلوم الباطن سلوكاً وتربيةً على الطريقة الدرقاوية الشاذلية. ومن أشهر مؤلفاته: تفسيرُه الإشاري"البحر المديد في تفسير القرآن المجيد"، و"إيقاظ الهمم في شرح الحكم"، و"معراج التشوف إلى حقائق التصوف"، و"الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية"؛ وهي كلها شاهدةٌ على جمعه بين الشريعة والحقيقة، وهي عمدةُ هذا البحث.

ثمّة مفاهيمُ ترتبط بعنوان الحقيقة ينبغي التنبيه عليها وإلقاء الضوء عليها؛ لِما بين معانيها من ترابطٍ شديد، ومن أبرزها: (الباطنية، والتصوف، والمعرفة، والمراقبة). وفيما يلي تعريفٌ موجزٌ لهذه المصطلحات:

الشريعة:

شرَعَ يشرَعُ شرعاً، ومادّتها (ش ر ع). قال صاحب لسان العرب: "والشريعةُ والشِّراعُ والمشْرَعةُ: المواضعُ التي يُنحدَر إلى الماء منها. قال الليث: وبها سُمّي ما شرَع الله للعباد من الصوم والصلاة والحج والنكاح وغيره شريعةً"[1]

وقال صاحب المعجم الوسيط:"شرَعَ: تناول الماءَ بفيه، والمنزلُ: دنا من الطريق" [2]

وبيّن الشيخ ابن عجيبة رحمه الله هذا المعنى اللغوي عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً﴾[3] فقال: "ومعناه: ظاهرةً قريبةً منهم، يقال: شرَع منه فلانٌ إذا دنا منه"[4] والمرادُ بالشرع هنا الشريعةُ الحنيفية، كما قال الشيخ رحمه الله:"فلذلك شرَع لكم الشريعةَ الحنيفيةَ السمحةَ السهلة"[5]

[1] Ibn Manẓūr, Muḥammad ibn Mukarram ibn ʿAlī, Abū al-Faḍl Jamāl al-Dīn al-Anṣārī al-Ifrīqī (d. 711 AH), Lisān al-ʿArab, Beirut: Dār Ṣādir, 3rd ed., 1414 AH, 8/175.

[2] Majmaʿ al-Lugha al-ʿArabiyya bi-al-Qāhira (Ibrāhīm Muṣṭafā, Aḥmad al-Zayyāt, Ḥāmid ʿAbd al-Qādir, Muḥammad al-Najjār), al-Muʿjam al-Wasīṭ, Dār al-Daʿwa, 1/479.

[3] Al-Qurʾān, Sūrat al-Aʿrāf, 7:163.

[4] Ibn ʿAjība, Abū al-ʿAbbās Aḥmad ibn Muḥammad ibn al-Mahdī al-Ḥasanī al-Anjarī al-Fāsī al-Ṣūfī (d. 1224 AH), al-Baḥr al-Madīd fī Tafsīr al-Qurʾān al-Majīd, ed. Aḥmad ʿAbd Allāh al-Qurashī Raslān, Cairo: al-Duktūr Ḥasan ʿAbbās Zakī, 1419 AH, 2/273.

[5] Ibid., 1/492.

وقال صاحب الملل والنحل: ''الشريعة ابتدأت من نوح عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا﴾[6]، والحدودُ والأحكامُ ابتدأت من آدم وشيث وإدريس عليهم السلام، وخُتمت الشرائعُ والملَلُ والمناهجُ والسننُ بأكملها وأتمّها حُسناً وجمالاً بمحمد عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[8]''[7]

وهذا هو المعنى المقصود في بحثنا، كما بيّنّاه عند الشيخ ابن عجيبة رحمه الله.

الحقيقة:

فسّر الشيخ رحمه الله الحقيقةَ بمثالٍ فقال:''فإنّ الحقيقة إنما هي لبّ الشريعة وخلاصتها، فإنما مثَلُ الحقيقة والشريعة كالروح للجسد؛ فالشريعة كالجسد، والحقيقة كالروح، فالشريعة بلا حقيقةٍ جسدٌ بلا روح، والحقيقة بلا شريعةٍ روحٌ بلا جسد، فلا قيام لهذا إلا بهذا. فمن تشرّع ولم يتحقّق فقد تفسّق، ومن تحقّق ولم يتشرّع فقد تزندق، ومن جمع بينهما فقد تحقّق، ومن خرج عنهما فقد خرج عن دين الله وطلب غيره''[9]

الباطنية:

وليس المرادُ هنا بالباطنية ''المذهبَ الباطني''[10] المعروف، وإنما المراد بها العلمُ الباطن في مقابل العلم الظاهر. والعلمُ الظاهر في اصطلاح الشيخ رحمه الله هو علم الشريعة، والعلمُ الباطن هو علم الحقيقة، كما قال رحمه الله:''السادةُ الصوفية يعتقدون أنّ النصّ على ظاهره، مرادٌ به حقيقتُه الظاهرة، ولا يُحيلون كلامَ الله تعالى عن وجهه المجمَع عليه من الأمة، ولكنهم يرون أنّ الله يفتح على بعض خواصّه بأسرارٍ ودقائقَ تزيد على المفهوم العامّ من النصّ ولا تعارضه، بل تؤيّده، وتُعدّ إضافةً من شرائف المعاني التي تزيد الظاهرَ شرفاً؛ فهي فتوحاتٌ لا تُبطل شيئاً من الأمر والنهي، ولكنها تُضفي عليه زينةً وجمالاً''[11]

التصوف:

[6] Al-Qurʾān, Sūrat al-Shūrā, 42:13.

[7] Al-Qurʾān, Sūrat al-Māʾida, 5:3.

[8] Al-Shahrastānī, Abū al-Fatḥ Muḥammad ibn ʿAbd al-Karīm ibn Abī Bakr Aḥmad (d. 548 AH), al-Milal wa-al-Niḥal, Muʾassasat al-Ḥalabī, 1/38.

[9] Ibn ʿAjība, al-Baḥr al-Madīd, 1/375.

[10] الباطنيةُ ومَن والاهم يجعلون المرادَ من النصّ ليس لفظَه الظاهرَ بمعناه القريب، بل يعتقدون أنّ المراد بالذات من النصّ هو الإشارةُ التي ينطوي عليها، وبذلك تأوّلوا القرآن، واستخرجوا لأنفسهم أحكاماً وعقائدَ ليست من الإسلام في شيء. (Ibn ʿAjība, al-Baḥr al-Madīd, 1/36).

[11] Ibn ʿAjība, al-Baḥr al-Madīd, 1/36.

التصوفُ (أو الصوفيُّ) منسوبٌ إلى الصفاء، أو إلى صُفّة المسجد النبوي، أو إلى الصوف؛ لأنهم اختاروا لُبس الصوف تقلُّلاً من الدنيا وزهداً فيها، إذ كان لباسَ الأنبياء عليهم السلام[12]. والعلمُ الذي يقوم عليه الصوفي يُسمّى "التصوف"، وقد عرّفه الشيخ رحمه الله فقال: "علمٌ يُعرف به كيفيةُ السلوك إلى حضرة مالك الملوك، أو تصفيةُ البواطن من الرذائل وتحليتُها بأنواع الفضائل، أو غيبةُ الخلق في شهود الحق، أو مع الرجوع إلى الأثر؛ فأوّله علم، ووسطه عمل، وآخره موهبة"[13]

المعرفة:

وفسّر الشيخ رحمه الله المعرفةَ فقال: "إنّ البيّنة أمرٌ باطنيّ، وهي المعرفة، إما بالبرهان أو بالعِيان، والشاهدُ الذي يتلوها هو العلمُ الظاهر؛ فيتّفق ما أدركه العقل أو الذوق مع ما أفاده النقل، فتتّفق الحقيقةُ مع الشريعة، كلٌّ في محلّه؛ الباطنُ منوَّرٌ بالحقائق، والظاهرُ مؤيَّدٌ بالشرائع، وهذا غايةُ المطلوب والمرغوب"[14]

المراقبة:

وبيّن الشيخ رحمه الله المراقبةَ فقال: "هي شهودُ قربِ الحبيب، والتأدّبُ بين يدي القريب، أو إدامةُ علمِ العبد باطّلاع الرب، والقيامُ بحقوق الله سرّاً وجهراً، خالصاً من الأوهام، صادقاً في الاحترام؛ وهي أصلُ كلِّ خير، لا يُتوصَّل إليها إلا بمحاسبة النفس وإصلاح الوقت"[15]

وجميعُ هذه المعاني مترابطةٌ في دلالتها كما بيّنّا في السطور المتقدمة، وفي المبحث القادم نذكر أقوال الفقهاء وعلماء التصوف في هذا الموضوع إن شاء الله.

المبحث الأول: أقوال الفقهاء وعلماء التصوف في الشريعة والحقيقة:

لقد حاول علماء المسلمين بيانَ حقيقة الشريعة بطرقٍ مختلفة، ودراسةُ هذه التعريفات تكشف أنّ مفهوم الشريعة والطريقة عندهم قريبٌ ممّا هو عند الشيخ ابن عجيبة رحمه الله، وإليك بيان ذلك في السطور الآتية:

قال الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله:"فارجِعْ إلى حكم الشرع والزَمْه، ودَعْ عنك الهوى؛ لأنّ الحقيقة التي لا تشهد لها الشريعة فهي باطلة"[16]

---

[12] See: Ibn ʿAjība, Miʿrāj al-Tashawwuf ilā Ḥaqāʾiq al-Taṣawwuf, ed. ʿAbd al-Majīd Khayālī, Casablanca: Markaz al-Turāth al-Thaqāfī al-Maghribī, p. 26.

[13] Ibid., p. 26.

[14] Ibn ʿAjība, al-Baḥr al-Madīd, 2/520.

[15] Ibn ʿAjība, al-Jawāhīr al-ʿAjība min Taʾālīf Sīdī Aḥmad ibn ʿAjība, comp. & ed. ʿAbd al-Salām al-ʿImrānī al-Khālidī, Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyya, p. 258.

[16] Al-Jīlānī, ʿAbd al-Qādir ibn Mūsā ibn ʿAbd Allāh al-Ḥasanī, Abū Muḥammad Muḥyī al-Dīn (d. 561 AH), Futūḥ al-Ghayb, ed. ʿAbd al-ʿAlīm al-Darwīsh, Riyadh: Dār al-Hādī & Maktabat Dār al-Zahrāʾ, p. 25.

وقال الشيخ الهجويري رحمه الله: ''انقسم علمُ الشريعة إلى قسمين: ظاهرٍ وباطن، واختصّ الفقهاء بالاهتمام بالظاهر، وعُني الصوفية بالباطن، وأصبح لكلٍّ من الطائفتين وجهةُ نظرها الخاصة في معنى الدين''[17]

وقال في موضعٍ آخر: ''أما علمُ العبد فينبغي أن يكون في أمور الله تعالى ومعرفته، وعلمُ الوقت وما يُفيد بموجبه ظاهراً وباطناً فريضةٌ على العبد، وهو على قسمين: أحدهما الأصول، والآخر الفروع، ولكلٍّ منهما ظاهرٌ وباطن؛ فظاهرُ الأصول: قولُ الشهادة، وباطنُ الأصول: تحقيقُ المعرفة، وظاهرُ الفروع: ممارسةُ المعاملة، وباطنُ الفروع: تصحيحُ النية، وقيامُ كلٍّ من هذين بدون الآخر محال. فظاهرُ الحقيقة بلا باطنٍ نفاق، وباطنُ الحقيقة بلا ظاهرٍ زندقة، وظاهرُ الشريعة بلا باطنٍ نفْس، وباطنُ الشريعة بلا ظاهرٍ هوس''[18]

وقال الشيخ الفقيه المحدّث عبد الحق الدهلوي رحمه الله: ''إن كان مرادُ هذا القائل نفيَ علم الأسرار والحقائق التي لا يفهمها العوام، ويختصّ بها العلماءُ بالله من أهل العرفان لدقّتها وغموضها، بحيث لو ذُكرت عند العوام أنكروها وذمّوا قائلها، فهي مكابرة؛ إذ لا بدّ أن يكون لكل ظاهرٍ باطن، ولكل شريعةٍ حقيقة، والحقيقةُ هي حقيقةُ الشريعة، لا شيءَ يباينها ويخالفها''[19]

وقال الشيخ الغزالي رحمه الله: ''من قال إنّ الحقيقة خلافُ الشريعة فهو كفر؛ لأنّ الشريعة عبارةٌ عن الظاهر، والحقيقةَ عبارةٌ عن الباطن، وإن كان لا يناقضه ولا يخالفه فهو هو، فيزول به الانقسام، ولا يكون للشرع سرٌّ لا يُفشى، بل يكون الخفيُّ والجليُّ واحداً''[20]

وقال الشيخ الشاه ولي الله الدهلوي رحمه الله: ''وليس في دين الله جزافٌ، فلا يتعلّق الرضا والسخط بتلك الأفعال إلا بسبب، وذلك أنّ ههنا شخوصاً يتعلّق بها الرضا والسخط في الحقيقة، وهي نوعان: أحدهما البِرّ والإثم والارتفاقات وإضاعتها وما يحذو حذوَ ذلك، وثانيهما ما يتعلّق بالشرائع والمناهج من سدّ باب التحريف والاحتراز من التسلّل ونحو ذلك، ولها محالٌّ ولوازمُ يتعلّقان بها بالغرض، ويُنسبان إليها توسّعاً''[21]

وقال صاحب لسان العرب رحمه الله: ''الشريعة: ما سنَّ الله من الدين وأمر به''[22]

---

[17] Al-Hujwīrī, Kashf al-Maḥjūb, study, trans. & annot. Isʿād ʿAbd al-Hādī Qandīl, rev. Badīʿ Jumʿa, Silsilat Mīrāth al-Tarjama, 2007, 1/30.

[18] Ibid., 1/206–207.

[19] Al-Dihlawī, ʿAbd al-Ḥaqq ibn Sayf al-Dīn ibn Saʿd Allāh al-Bukhārī al-Ḥanafī (b. 958 AH – d. 1052 AH), Lamaʿāt al-Tanqīḥ fī Sharḥ Mishkāt al-Maṣābīḥ, ed. Taqī al-Dīn al-Nadwī, Damascus: Dār al-Nawādir, 1st ed., 1435 AH / 2014 CE, 1/609.

[20] Al-Ghazālī, Abū Ḥāmid Muḥammad ibn Muḥammad al-Ṭūsī (d. 505 AH), Iḥyāʾ ʿUlūm al-Dīn, Beirut: Dār al-Maʿrifa, 1/100.

[21] Al-Dihlawī, Aḥmad ibn ʿAbd al-Raḥīm, known as Shāh Walī Allāh (d. 1176 AH), Ḥujjat Allāh al-Bāligha, ed. al-Sayyid Sābiq, Beirut: Dār al-Jīl, 1st ed., 1426 AH / 2005 CE, 1/171.

[22] Ibn Manẓūr, Lisān al-ʿArab, 1/176.

وقال صاحب النهاية رحمه الله: ''الشريعة: ما أمرت به''[23]

وقال صاحب التعريفات رحمه الله: ''الحكمة المنطوق بها: هي علوم الشريعة والطريقة. والحكمة المسكوت عنها: هي أسرار الحقيقة التي لا يطّلع عليها علماء الرسوم والعوام''[24]

وفي الرسالة القشيرية: ''ومن ذلك الشريعة والحقيقة؛ فالشريعة أمرٌ بالتزام العبودية، والحقيقة مشاهدةُ الربوبية؛ فكلُّ شريعةٍ غيرِ مؤيَّدةٍ بالحقيقة فغيرُ مقبولة، وكلُّ حقيقةٍ غيرِ مقيَّدةٍ بالشريعة فغيرُ محصولة؛ فالشريعة جاءت بتكليف الخلق، والحقيقة إنباءٌ عن تصريف الحق؛ فالشريعة أن تعبده، والحقيقة أن تشهده''[25]

وبالنظر إلى هذه التعريفات يتبيّن أنّ اتّباع أوامر الإسلام الظاهرة وشؤونه الحسّية هو الشريعة، وأنّ اتّباع روح هذه الشريعة هو الحقيقة، والحقيقةُ في الواقع سلوكٌ وتزكيةٌ للنفس وإحسان، والتصوفُ هو الاسم نفسه؛ فهذه تعبيراتٌ مختلفة ومعناها واحد.

فخلاصةُ الدراسة أنّ جميع هذه النقول تُفضي بنا إلى أنّ الشريعة والحقيقة متلازمتان؛ لأنّ الشريعة تنطبق على الأحكام الظاهرة، والحقيقة تنطبق على الأسرار الباطنة، وهما جزءان أساسيان من الإسلام. وفي المبحث القادم إن شاء الله نورد النقول في هذا الموضوع من كتب الشيخ ابن عجيبة رحمه الله.

المبحث الثاني: أهمّ المختارات من كتب الشيخ ابن عجيبة:

كان الشيخ ابن عجيبة رحمه الله من كبار علماء الصوفية، ولذلك ذكر هذا الموضوع في كثير من مؤلفاته لأهميته، وفيما يلي بعض النقول في هذا الباب من كتبه:

قال الشيخ ابن عجيبة رحمه الله: ''فإنّ الحقيقة إنما هي لبّ الشريعة وخلاصتها، فإنما مثَلُ الحقيقة والشريعة كالروح للجسد؛ فالشريعة كالجسد، والحقيقة كالروح، فالشريعة بلا حقيقةٍ جسدٌ بلا روح، والحقيقة بلا شريعةٍ روحٌ بلا جسد، فلا قيام لهذا إلا بهذا، فمن تشرّع ولم يتحقّق فقد تفسّق، ومن تحقّق ولم يتشرّع فقد تزندق، ومن جمع بينهما فقد تحقّق، ومن خرج عنهما فقد خرج عن دين الله وطلب غيره''[26]

وقال رحمه الله في قصة سيدنا موسى والخضر عليهما السلام: ''هي السببُ في ظهور التمييز بين أهل الظاهر وأهل الباطن؛ فأهل الظاهر قائمون بإصلاح الظواهر، وأهل الباطن قائمون بتحقيق البواطن؛ أهلُ الظاهر

[23] Ibn al-Athīr, Majd al-Dīn Abū al-Saʿādāt al-Mubārak ibn Muḥammad al-Jazarī (d. 606 AH), al-Nihāya fī Gharīb al-Ḥadīth wa-al-Athar, ed. Ṭāhir Aḥmad al-Zāwī & Maḥmūd Muḥammad al-Ṭanāḥī, Beirut: al-Maktaba al-ʿIlmiyya, 1399 AH / 1979 CE, 5/48.

[24] Al-Jurjānī, ʿAlī ibn Muḥammad ibn ʿAlī al-Zayn al-Sharīf (d. 816 AH), Kitāb al-Taʿrīfāt, ed. by a committee of scholars, Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyya, 1st ed., 1403 AH / 1983 CE, p. 91.

[25] Al-Qushayrī, ʿAbd al-Karīm ibn Hawāzin ibn ʿAbd al-Malik (d. 465 AH), al-Risāla al-Qushayriyya, ed. ʿAbd al-Ḥalīm Maḥmūd & Maḥmūd ibn al-Sharīf, Cairo: Dār al-Maʿārif, 1/195.

[26] Ibn ʿAjība, al-Baḥr al-Madīd, 1/375.

مغترفون من بحر الشرائع، وأهلُ الباطن مغترفون من بحر الحقائق. وقيل: هو المرادُ بمجمع البحرين، حيث اجتمع سيدنا موسى الذي هو بحر الشرائع، والخضر عليه السلام الذي هو بحر الحقائق"[27]

وقال رحمه الله: "فالنظرُ إلى المشيئة حقيقة، والنظرُ إلى السبب شريعة، أو تقول: النظرُ إلى المشيئة قدرة، والنظرُ إلى الأسباب حكمة، ولا بدّ من الجمع بينها؛ فالحقيقةُ معينة، والشريعةُ مبيّنة، والشريعةُ حكمة، والحقيقةُ قدرة، والحقيقةُ حاكمةٌ على الشريعة في الباطن، والشريعةُ حاكمةٌ على الحقيقة في الظاهر، وليس حكمُ القدرة بأولى من وصف الحكمة في محلّه ولا بالعكس"[28]

وقال رحمه الله: "واعلم أنّ القدرة والحكمة كلُّ واحدةٍ تنادي على صاحبتها بلسان حالها؛ أما القدرةُ فتقول للحكمة: أنتِ تحت قهري ومشيئتي، لا تفعلي إلا ما أشاء، ولا يصدر منكِ إلا ما أريد، فإن أردتِ خلافي رددتُكِ، وإن سبقتِني أدركتُكِ. وتقول الحكمةُ للقدرة: أنتِ تحت حكمتي وعند أمري ونهيي، فإن عصيتِني أدّبتُكِ، وربما قتلتُكِ. ثم إن اتّفق فعلُهما كان ذلك الفعل طاعةً وحقيقةً نورانية، وإن اختلف فعلُهما، بأن أظهرت القدرةُ خلافَ ما تريد الحكمة، كان معصيةً وهي حقيقةٌ ظلمانية. فتبيّن أنّ الحقيقة لا تفارق الشريعة، إذ لا قيامَ لها إلا بها، والشريعةُ لا تخرج عن الحقيقة، لأنها سترٌ لها ورجاءٌ يصونها"[29]

وقال رحمه الله: "فلما برزت عرائسُ الأنوار باديةَ الإظهار، خِيف أن يُنادى عليها بلسان الاشتهار، فاحتجبت في خدورها، وبطنت في ظهورها، إذ لا بدّ للحسناء من نقاب، وللشمس من سحاب"[30]

وهذه النقول جميعها تميل بنا إلى أنّ الحقيقة والشريعة مترابطتان، وأنّه يلزمنا الجمعُ بينهما؛ لأنّ الروح والجسد يطلبان التوافق، فإن لم يتوافقا لزم الفسادُ والانقطاع بينهما. ولهذا نقول في ضوء هذه النقول: التوافقُ بين الروح والجسد أمرٌ مهمٌّ ضروري، وسبيلُ ذلك أن نجمع بين الحقيقة والشريعة، ولا يكون إلا بهما، والله أعلم بالصواب.

المبحث الثالث: النتيجة في ضوء فكر الشيخ ابن عجيبة رحمه الله:

الشيخُ أحمد بن عجيبة رحمه الله من أبرز علماء الصوفية، وقد وفّق توفيقاً دقيقاً بين الشريعة الإسلامية (العلم الظاهر) والتصوف (العلم الباطن)، ويتجلّى هذا التوازن في منهجه وأعماله، حيث جمع بين الفقه الظاهر والتعمّق الروحي، بما يعكس فهمه الشامل للإسلام.

[27] Ibid., 3/285.

[28] Ibn ʿAjība, Īqāẓ al-Himam fī Sharḥ al-Ḥikam, ed. & rev. Muḥammad Aḥmad Ḥasaballāh, Cairo: Dār al-Maʿārif, p. 385.

[29] Ibn ʿAjība, al-Futūḥāt al-Ilāhiyya fī Sharḥ al-Mabāḥith al-Aṣliyya, ed. ʿAbd al-Raḥmān Ḥasan Maḥmūd, al-Azhar al-Sharīf, p. 330.

[30] Ibn ʿAjība, al-Jawāhīr al-ʿAjība, p. 260.

الجمع بين العلم الظاهر والباطن:

يؤكّد ابن عجيبة رحمه الله أهميةَ الجمع بين الفقه الظاهر والعلم الباطن لتحقيق الكمال الروحي، ويُعبّر عن ذلك بقوله: ''إنّ ظاهر الشريعة وباطن الحقيقة كتطبيق النعل على النعل، بحيث لا يفوت أحدُهما على الآخر؛ كذلك الحقيقةُ الباطنة مع الشريعة الظاهرة متلازمتان''[31]؛ ومعنى ذلك أنّ الالتزام بالشريعة هو الأساس الذي يُبنى عليه التصوف، وأنّ كلًّا منهما يكمّل الآخر لتحقيق التوازن الروحي، والوسيلةُ إلى التقرب إلى الله.

كما شرح أنّ الحقيقة كالروح للجسد، والجسدَ كالشريعة للروح، ومن جمع بينهما فقد عمل بالكتاب والسنة؛ يقول الشيخ رحمه الله: ''فإنما مثَلُ الحقيقة والشريعة كالروح للجسد؛ فالشريعة كالجسد، والحقيقة كالروح، فالشريعة بلا حقيقةٍ جسدٌ بلا روح، والحقيقة بلا شريعةٍ روحٌ بلا جسد، فلا قيام لهذا إلا بهذا، فمن تشرّع ولم يتحقّق فقد تفسّق، ومن تحقّق ولم يتشرّع فقد تزندق، ومن جمع بينهما فقد تحقّق''[32]

المربّي الكامل:

ومن أجل تحقيق الكمال في أيّ علمٍ أو فن، لا بدّ من التربية بملازمة أهل ذلك الفن والتلمذة عليهم، والطريقُ إلى الله شاقٌّ، فمن المهمّ أن يكون المرء مرتبطاً بتوجيه المرشد الكامل. ويرى الشيخ ابن عجيبة رحمه الله أنّ صحبة الشيخ الناقص وتربيتَه سمٌّ قاتل، فقال:''كلُّ من لا شيخ له في طريق القوم فهو يتيم، لا أب له، فإن ادّعى شيئاً من الخصوصية سُمّي عندهم لقيطاً أو دعيّاً، أي: منسوباً إلى غير أبيه. وما زالت الأشياخُ تحذّر من مخالطة العوام، ومن مخالطة المتفقّرة الجاهلة، أعني: الذين لا شيخ لهم يصلح للتربية، حتى قالوا: مخالطتهم سمٌّ قاتل. وقال بعضهم: يجتنب المريدُ مخالطةَ ثلاثة أصناف من الناس: المتفقّرة الجاهلين، والقرّاء المداهنين، والجبابرة المتكبّرين. قلت: وكذلك الفروعيةُ المتجمّدون على ظاهر الشريعة، فصحبتهم أقبح من الجميع. ومن ابتُلي بمخالطة العوام فلينصحهم، ويرشدهم إلى مصالح دينهم، إنما هم إخوانٌ في الدين، والله يعلم المفسدَ من المصلح؛ فمن خالطهم طمعاً في مالهم أو جاههم أفسده الله، ومن خالطهم نصحاً وإرشاداً أصلحه الله''[33]

نفهم من هذا أنّ الشيخ الكامل عند الشيخ ابن عجيبة رحمه الله هو الذي يرعى الشريعة الظاهرة والحقيقة الباطنة، وأنّ صحبة غيره سمٌّ قاتل ينبغي اجتنابه. وصحبةُ الشيخ الكامل لازمةٌ ضرورية عنده، ولا يحصل بدونها التقربُ إلى الله، ولهذا يقول رحمه الله:''لا وسيلة أقرب من صحبة العارفين، والجلوسِ بين أيديهم وخدمتِهم، والتزامِ طاعتهم؛ فمن رام وسيلةً توصله إلى الحضرة غيرَ هذه فهو جاهلٌ بعلم الطريق. قال أبو عمرو الزجاجي ﷺ: لو أنّ

[31] Ibn ʿAjība, al-Futūḥāt al-Ilāhiyya, p. 330.

[32] Ibn ʿAjība, al-Baḥr al-Madīd, 1/375.

[33] Ibid., 1/250.

رجلاً كُشف له عن الغيب، ولم يكن له أستاذ، لا يجيء منه شيء. وقال إبراهيم بن شيبان ﷺ: لو أنّ رجلاً جمع العلوم كلها، وصحب طوائف الناس، لا يبلغ مبلغ الرجال إلا بالرياضة على يد شيخٍ أو إمامٍ أو مؤدّبٍ ناصح"[34]

تطهير النفس ولوازمه:

تطهيرُ النفس وتزكيتُها من الموضوعات الأساسية في تعليم القرآن الكريم، فهو لا يقتصر على ذكر التطهير والتزكية، بل يبيّن لوازمهما الضرورية. وقد وردت لفظةُ "النفس" في آياتٍ مختلفة بمعنى الذات والشخصية والوجود الإنساني والقلب والروح، ثم بُيّنت لكلٍّ منها أصولُ التطهير والتزكية وضوابطهما. والشيخ ابن عجيبة رحمه الله يلازم في ذلك هَدْيَ القرآن الكريم، ويستدلّ بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾[35].

قال الشيخ ابن عجيبة رحمه الله: "يا من غرق في بحر الذات وتيار الصفات، (ذلك الكتاب) الذي تسمعه من أنوار ملكوتنا وأسرار جبروتنا (لا ريب فيه) أنه من عندنا، فلا تسمعه من غيرنا، (فإذا قرأناه فاتّبع قرآنه) فهو هادٍ لشهود ذاتنا، ومرشدٌ للوصول إلى حضرتنا، لمن اتقى شهودَ غيرنا، وغرق في بحر وحدتنا... الذي جمع بين مشاهدة الربوبية والقيام بوظائف العبودية، إظهاراً لسرّ الحكمة بعد التحقق بشهود القدرة؛ فهو على صلاته دائم، وقلبُه في غيب الملكوت هائم... فلا جرم أنه على بيّنةٍ من ربه"[36]

آداب السالك:

التصوف والسلوك اسمٌ للأدب، ويحرم ما جاوز الأدب، وله أصولٌ وضوابطُ لا بدّ من العمل بها لحصول التقرب إلى الله، كما أشار إليها الشيخ ابن عجيبة رحمه الله بقوله: "اعلم أنّ البيوت التي يدخلها المريدُ ثلاثة: بيتُ الشريعة، وبيتُ الطريقة، وبيتُ الحقيقة، ولكلّ واحدٍ أبواب؛ فمن أتى البيت من بابه دخل، ومن أتاه من غيره طُرد. فبيتُ الشريعة له ثلاثة أبواب: الأول: التوبة... واستقبله بابُ الاستقامة، وهي متابعةُ الرسول في أقواله وأفعاله وأحواله... واستقبله بابُ التقوى بأقسامها، فإذا حقّق التقوى ظاهراً وباطناً دخل بيتَ الشريعة المطهرة... ثم يروم دخولَ بيت الطريقة وله ثلاثة أبواب: الأول: الإخلاص... واستقبله بابُ التخلية، وهي التطهيرُ من العيوب الباطنة... واستقبله بابُ التحلية، وهي الاتّصافُ بأنواع الفضائل كالصبر والحلم والصدق والطمأنينة والسخاء والإيثار... فإذا حقّق ذلك فقد حقّق بيتَ الطريقة، ثم يستقبله بيتُ الحقيقة، فأولُ ما يقرع بابَ المراقبة، وهي حفظُ القلب والسرّ من الخواطر الرديّة... ثم بابُ المشاهدة، وهي محوُ الرسوم في مشاهدة أنوار الحي القيوم... ثم

[34] Ibid., 2/37.

[35] Al-Qurʾān, Sūrat al-Qiyāma, 75:18.

[36] Ibn ʿAjība, al-Baḥr al-Madīd, 1/75.

بابُ المعرفة، وهي محلُّ الرسوخ والتمكين، وهي الغايةُ والمنتهى؛ فبيتُ الحقيقة هو مسجدُ الحضرة الربانية، وما بقي بعدها إلا الترقّي في المقامات، وزيادةُ المعارف والكشوفات، منحنا الله من ذلك حظاً وافراً بمنّه وكرمه"[37]

الصوفية الذين انحرفوا عن طريق الاعتدال والشريعة في فكر الشيخ ابن عجيبة رحمه الله:

إنّ صوفية أهل السنة لا يزالون ينبّهون على الطائفة التي انحرفت عن طريق الاعتدال والشريعة، وينتقدون هذا الانحراف. والشيخ ابن عجيبة رحمه الله، لكونه صوفياً مقتدياً بالشرع، يدرك جيداً إسرافَهم، ويذمّ من يجعل التصوفَ ذريعةً لأكل أموال الناس، فقال: "قد رأينا بعض الفقراء دخل بلدَ الحقيقة فسقطت من قلبه هيبةُ الشريعة، فتساهل في أموال الناس، وسقطت لديه حرمةُ العباد، حتى لا يُوثَق به في حفظ مالٍ ولا أهل، فإذا أودعته شيئاً أو قارضته لا يؤدّيه إليك إلا ما دمتَ عليه قائماً؛ وهذه زندقةٌ ونزعةٌ إسرائيلية، لا يرضاها أدنى الناس، فما بالك بمن يدّعي أنه أعلى الناس"[38]

الخاتمة:

فإنّ فكر الشيخ ابن عجيبة رحمه الله يمثّل دعوةً إلى التوازن بين الشريعة والحقيقة، وبين الظاهر والباطن؛ وتتجلّى قوّتُه البيانية في قدرته على تفسير المعاني الروحية بوضوحٍ ودقة، بما يعمّق الفهمَ الديني والروحي، وتأمّلُ أفكاره يعزّز فهمنا للعلاقة المتكاملة بين الالتزام الظاهر والنمو الروحي.

وخلاصةُ هذا العرض الموجز أنّ الشريعة والحقيقة لا غنى عن إحداهما عن الأخرى؛ فالحقيقة جوهرُ الشريعة ولبُّها، وبينهما ما بين الروح والجسد؛ فالشريعة كالجسد والحقيقة كالروح، فالشريعة بلا حقيقةٍ كالجسد بلا روح، والحقيقة بلا شريعةٍ كالروح بلا جسد؛ فمن أخذ بالشريعة ولم يبلغ الحقيقة فقد فرّط، ومن ادّعى الحقيقة وهو جاهلٌ بالشريعة فقد زلّ، ومن جمع بينهما فهو على الحق، ومن حُرمهما فكأنه خرج عن دين الله. هكذا تبيّن من دراسة منهج الشيخ ابن عجيبة رحمه الله في مؤلفاته.

ولا بدّ من الجمع بين الأمرين مع البقاء على الحق باطناً وشريعةِ الرسل ظاهراً؛ والقرآنُ الكريم والحديث النبوي وسيرةُ رسول الله ﷺ يؤيّد ذلك ما ذهب إليه ابن عجيبة رحمه الله. وقد بيّن القرآنُ الأهدافَ الأربعة لرسالة النبي ﷺ: تلاوةَ القرآن الكريم، وتعليمَ الكتاب، وتعليمَ الحكمة، وتزكيةَ النفس؛ وفي ضوء هذه الأهداف يظهر أنّ التعليم هو الكتاب وحكمتُه، وأنّ تزكية النفس منهجُ حياة.

وينادي ابن عجيبة رحمه الله بالتوازن بين العقل والقلب في فهم الدين وتطبيقه، ويوضّح أنّ الوقوف عند التفسير الظاهر للقرآن وحده يعوق الانطلاق الروحي، بينما يفتح التفسيرُ الباطن الباب لتجارب روحيةٍ عميقة تعزّز

[37] Ibid., 1/221.

[38] Ibid., 1/371.

صلة العبد بربه. وبهذا يعكس المقالُ توازنَ الشيخ بين الفقه الظاهر والمعرفة الباطنة، ويظهر قوّةَ بيانه في تفسير المعاني الإسلامية بروحانيةٍ عميقة.

أبرز نتائج البحث:

1. أنّ الشريعة والحقيقة لم تكونا في الصدر الأول مصطلحين متغايرين، وإنما نشأ الاصطلاح لاحقاً لبيان مراتب الأحكام ودرجات السلوك، فلا تعارض بين مدلوليهما في أصل الوضع.
2. أنّ الحقيقة عند الشيخ ابن عجيبة رحمه الله هي لبّ الشريعة وخلاصتها، وبينهما ما بين الروح والجسد، فلا قيام لإحداهما إلا بالأخرى.
3. أنّ أقوال الفقهاء وأئمة التصوف — من الجيلاني والهجويري والغزالي والقشيري إلى الدهلويَّين — متوافقةٌ في تقرير هذا التلازم، وأنّ ما خالف الشريعة من دعاوى الحقيقة فهو باطل.
4. أنّ صحبة الشيخ الكامل الجامع بين الظاهر والباطن شرطٌ عند ابن عجيبة في سلامة السلوك، وأنّ صحبة الناقص سمٌّ قاتل.
5. أنّ الشيخ رحمه الله كان ينكر على المنحرفين من المنتسبين إلى التصوف ممّن أسقطوا هيبة الشريعة، ويَعدّ ذلك زندقةً لا تصوفاً.

التوصيات

1. على المسلم أن يعتني بدراسة علم الحقيقة كما يعتني بعلم الشريعة الظاهرة.
2. على المسلم أن يعتقد تلازمَ الحقيقة والشريعة والجمعَ بينهما؛ فإنّ العمل بأحدهما وترك الآخر يُبعد عن الإيمان ويقرّب من الانحراف.
3. على طالب العلم أن يطّلع على المذاهب الصوفية المعتدلة وما انحرف منها عن طريق الاعتدال؛ ليميّز بينهما.
4. على الداعية إلى الله أن يكون مصلحاً للناس، يزيل ما يجدونه في قلوبهم من اللبس حول هذه المسألة الدقيقة.
5. على الفقهاء وعلماء التصوف أن ينبّهوا أتباعهم إلى شدّة الترابط بين الحقيقة والشريعة، وإلى وجوب العمل بهما جميعاً.
6. العنايةُ بتحقيق ما بقي من تراث الشيخ ابن عجيبة مخطوطاً، ونشرُ ما حُقّق منه؛ لما فيه من نفعٍ عظيم في هذا الباب.